للعلم به فيصير معنى كما لو قيل اقترب حساب الناس الحساب الذي للناس فلما كان اللام لتاكيد الاختصاص المستفاد
من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنو وقت حسابهم وهو يحصل من هذا
التركيب قدم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة و
عرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقر قدم على الحساب لكون المعناية
مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان الحساب لهم لا لغيرهم وفي التقديم والتصريح باللام وتعريفه الحساب مبالغة
في قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تاكيدا للاختصاص
بهم المدلول عليه بلام الاختصاص فان قيل اذا كان اقترب للناس الحساب مقررا في الاعتبار على ان يقال
اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تاكيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس فالجواب اذا كان احدهما تاكيدا
للاخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالاخر صح جعل اللام تاكيدا للاضافة ومعنى ان كل واحد من اللام الجارة
والاضافة مغنية عن الاخر فاذا جمع بينهما كان تاكيدا للاخر قوله موصوفون عن التفكر فيه فان العقول السليمة
حاكمة بانه لا بد من الحساب والجزاء والا لزم التسوية بين المطيع والعاصي والمتقين والفجار وهي بعيدة
عن مقتضى الحكمة والعدالة قوله محدث تنزيله يعني ان المراد بالذكر كلام الذي يذكرهم ما لهم وما عليهم
وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزله في كل وقت على حسب المصالح وقدر
الحاجة فذات المنزل ازلي قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية
على ان القران محدث قائلين ان القران ذكر لقوله تعالى في صفة القران ان هو الا ذكر للعالمين والذكر
محدث لهذه الاية فالقران محدث واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه هو مركب من
الحروف والاصوات وحدوثه محل الانزاع وانما النزاع في قدم كلام الله بمعنى الاخر فقوله ما ياتيهم
من ذكر بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الاية بعد
الاية والسورة ليكرر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فما يزيدهم ذلك الا استكبارا وقرأ العامة
محدث بالجر على انه صفة لذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة كما في ما جاءني
من احد قوله استمعوه جامعين على تقدير ان يكون حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان
من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة في الثانية قوله لاهية
قلوبهم اي متناهية غافلة عن التامل فيه من لهيت عن الشيء لهيا ولهيانا من باب علم اذا اغفلت عنه وقدم
ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تنبيها على انهم باللعب الذي
معناه السخرية او الاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب
لذهولهم عن الحق قوله بالغوا في اخفائها وثانيا بان معنى جعلوها جواب عما يقال من ان النجوى
اسم من التناجي فلا يكون الا خفية فما معنى قوله تعالى واسروا واجاب عنه بان معناه بالغوا في اخفائها
وثانيا بان معنى جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون قوله بدل من واو
واسروا فيكون واو اسروا ضميرا عائدا الى ما عاد اليه سائر الضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال

من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم المتبالغون في الظلم وذلك لانه جعل الذين مفسرا
لهم لهذا الابدال وان كان الذين ظلموا في محل يكون واو اسروا حرفا جيء به للدلالة على ان الفاعل
جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة على ان الفاعل مؤنث قوله وانما اسروا به تشاورا لما كان بهذا
الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره لا جرم اسروا به لان
عادة المتشاور ان يجتهد في كتمان سرهم عن اعدائهم قوله جهرا كان او سرا اشارة الى جواب ما يقال هلا
قيل يعلم السر حتى يطابق قوله واسروا النجوى وتقريرها ان القول ربما يشمل السر والجهر فكان في العلم
بالقول العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كان قوله
يعلم السر اكد من قوله يعلم سرهم مع انه مطابق لقوله واسروا النجوى لان النجوى هو القول الواقع
بطريق التشاور والمطلق منطبق لكل واحد منهما قوله ولا ما يضمرون اشارة الى ان متعلق قوله
العليم هو ما اضمروه في نفوسهم من غير ان يتكلموا به لا سرا ولا جهرا كقوله تعالى يعلم السر واخفى قال
الامام قدم السميع على العليم لانه لا بد من سماع الكلام اولا ثم حصول العلم بمعناه ولا يخفى ان هذا
التوجيه لا يصلح مما استند الى الله من السماع فانه عالم بعلم وسميع بسمع ليس الان سماعه ليس طريقا للعلم
بل هو عبارة عن علمه بالمسموعات قوله اضراب لهم يعني ان الاضرابات المذكورة في هذه الاية واقعة في
كلام الذين ظلموا حكاها الله عنهم كما وقعت في كلامهم حكاها الله عنهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين
خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب ولا يدرون ما يقولون ولا يجدون متمسكا
فيتشبثون في هدم امره واظهار فساد ما ادعاه من الرسالة ولما كان بهذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات
المذكورة لو كانت واقعة في كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا معطوفا على
بل بان يقال   قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم معطوفهم بل على قالوا ليفيد ذلك
قال بعض الافاضل   ان يكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم في حق القران انه اضغاث احلام ويكون اضرابا عن طعنهم
عن محكي الى محكي اخر من النبي وزيف ذه عليه السلام وفي شان ما جاء به من الخوارق الى التقول في القران
والا يكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بها عن قولهم في امر القران انه اضغاث احلام
الى انه كلام مفترى ثم انه كلام شعري ثم جوزان يكون كلمة بل من كلام الله لا محكية من الكفرة لان الكلام
المحكي ما يقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث من الثاني والرابع
من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قد يكون لابطال الكلام الاول وقد يكون للانتقال
منه الى خبر اخر اهم من الاول والاضراب الواقع في كلام الله لا يحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون
الاول باطلا في نفسه او غلطا والله منزه عن ذلك فلا بد ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال
الى الاهم والاهم في مقام ارادة بيان بطلان مقالة القوم ما هو افسد بالنسبة الى الاول فيكون
ما بعد بل في مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ما قبلها قوله وليس ما يناسب قول الشعراء لان الشعر متخيلات

Copyright © King Saud University